حكومة لا تعرف الملل .. متابعة لوثبة الجماهير

محمد سعيد الصكار
mohammed_saggar@yahoo.fr

كتبت أكثر من مرة عن (نعمة الملل)، وقلت إنها دليل عافية تحملنا على مراجعة الأمور الباعثة على الملل، بغية تقييمها وجدواها. وإذ كان عندنا رصيد هائل من بواعث الملل، أصبح جلدنا أصلب من جلد التماسيح، فلم تفد معه وخزة الملل، وصار التكرار ولوك المقولات مألوفاً، وصرنا نعرف مسبقا ما يملأ آذاننا من وعود كاذبة، وتخريجات لحالتنا المزرية دونما سعي جاد لتجاوزها، أو إحساس بحجم الملل الذي ضقنا به وضاق بنا.

وأنا أعجب، وغيري أيضا، بلا شك، يعجب من تكرار الوعود الفارغة التي نسمعها بالصيغة نفسها، والعبارات نفسها، منذ شهور، دونما سأم أو ملل، أو معالجة. والعجيب أن هذا الملل الذي ضاقت به النفوس لا يخترق تلك الجلود العصية على الإختراق، ولا يثير لدى زعمائنا أي حرج في مواصلة وعودهم الكاذبة على الناس الذين ينتظرون الفرج مما هم فيه من مشاكل وصلت حد العظم؛ وإلا فكيف نفسر هذه الدوامة الدائرة منذ شهور، دون توقف، بشأن القوات الأمنية، ومجلس السياسات الستراتيجية، وكأن ليس في العراق ثلاثة وزراء مؤهلين لملء هذه الشواغر من بين عشرين مليونا من المواطنين العراقيين الذين تزدحم بهم قائمة الكفاءات في مختلف المجالات المهنية والمعرفية !

أما يمل هؤلاء الزعماء من ترديد اسطوانتهم التي صارت مضحكة ومبعث تندر، بل وانعدام ثقة بهم وبمشاريعهم الإصلاحية التي لم تصلح شيئا؟

أما تحملهم موجات الغضب الجماهيري على مراجعة المواقف، والتخلي عن المواقف المتصلبة، والمرفوضة التي تدور وتدور بلا مخرج ولا ملل؟

أما يكون لهذه الحشود التي تطالب بالإصلاح وازع يدفع بالزعماء إلى مراجعة مواقفهم ومراجعة واقع الحال، والوقوف في دائرة الواقع الذي يتبلور بمطالب الجماهير؟

أما آن لهذه المحاصصة الخبيثة أن تنأى بنا عن مزالق الفوضى؟

أيصح أن تتوالى الشهور في انتظار ثلاثة وزراء ينهضون بالمهام الأمنية؟ وأن تستمر المماطلة لاختيار رئيس أو أمين عام لمجلس السيادات؟

أهذه حكومة فعلاً ينتظر منها أن تحترم شعبها، وتأتيه بما هو في حاجة إليه؟ وتتأمل في هذه الجموع المزدحمة في ساحات بغداد وبقية مدن العراق دفاعا عن كرامة الوطن وحاجات مواطنيه؟ وتمل من تكرار الوعود وتبريرات التلكؤ في الإيفاء بها.

(جمعة الكرامة) أو (جمعة الندم)، وكلاهما وارد، ستضع جدول عمل لمستقبل الحكومة، وعليها أن تتأمل فيه، وتعيد النظر في علاقتها مع الواقع، وفي ما تفرزه هذه الجموع الظمأى إلى قولة الحق وصولته؛ وإن غدا لناظره قريب.

إديث سيتويل: شاعرة الطلبة

إديث سيتويل، شاعرة طليعية وعبقرية من عباقرة الأدب الإنكليزي، لا يمكن قط نسيانها، وهي حتى اليوم، تجمع حول لوحتها، في القاعة الوطنية للوحات، مجموعة من المعجبين بها.
ويعتبر ريتشارد غرين، آخر كاتب تناول سيرتها، وهو بعكس الآخرين، لا يهتم كثيراً بمظهرها، الذي يتناوله الآخرين باهتمام: أنف طويل، ملابسها الغريبة، وحاجبان مرتفعان. فهو يركّز اهتمامه على قصائدها، كونها شاعرة القرن العشرين. وقد يعيب بعض النقاد، كونها تميزت بطموح شديد، ولكنها قالت ذات يوم لستيفن سبندر عام ١٩٩٦، وهي في قمة نجاحها، "كان عليّ تعلّم كل شيء، وأن الاعتدال هو موت للشاعرة، ولذلك قررت أن لا أكون جبانة. وملابسها والمجوهرات والقبعات الكبيرة الحجم والأقراط المتدلية، كانت تمنحها مظهراً غير اعتيادي، وغدت مع الأيام جزءاً منها، ومن أسلوبها الحديث في كتابة الشعر.

إبتسام عبد الله

وكانت سيتويل، طفلة مهملة، حسب المقاييس الحديثة في معاملة الأطفال، وتعرضت لمعاملة قاسية من قبل والديها المنفصلين عن بعضهما (السير جورج والليدي إدا)، وفي عام ١٩١٥، عندما كانت إديث في العشرين من عمرها، حوكمت والدتها بتهمة الاحتيال وسجنت فترة قصيرة من الوقت. وكانت ابنتهما شيئاً غامضاً بالنسبة إليهما، أو ربما صدمة، بسبب أنفها الطويل والأعوج. وقد بدأت قسوتهما تجاهها، في قرارها في عدم إكمال تعليمها (إذ إن الجامعة في رأي والدتها، تعمل على إسترجال الفتيات) وانتهت بقرارهما بإصلاح أنفسها بمشبك معدني، وهو ما دعته إديث بـ(الباستيل الخاص بي). وفي المرحلة التالية، عندما بلغت سن الشباب، مُنعت من الظهور في الحفلات العامة، وبقيت في البيت مع مربيتها المتقدمة في السن، وفي الوقت الذي كان فيه والدها يتمتع ببذخ ومباهج أفضل المنازل في يوركشاير أو ايطاليا، كانت ابنته تسكن في غرف وضيعة في أقذر مناطق لندن أو باريس. ولا عجب أن سيتويل كانت علاقتها أوثق مع شقيقها ساجيرفيل واوسبرت.

وإن الحياة الأدبية لاديث سيتويل بدأت في عام ١٩١٢، عندما كانت في الـ٢٥ من عمرها. وقد تسلل الشعر إلى حياتها ليحل مكان الموسيقى، كما في تلك المرحلة، كانت قد تعرفت على عدد من أبرز الأسماء الأدبية: سيكيرت والتون، ييتس، إليون وفيرجينيا وولف، عبر حضورها الصالونات الأدبية التي تُعقد في أمسيات السبت عادة، وقد وطدّت سيتويل نفسها عدوة للقديم (خاصة شعراء العصر الجورجي) وقائدة للجديد، وقد أكد ذلك الانطباع كتابها "الواجهة"- ١٩٢٣ . وسرعان ما بدأ أندادها يتساقطون أمامها. وعلى الرغم من ذلك، كان لها أعداؤها، ومن بينهم: ق . ر. ليفيز ونويل كوارد الذي اعتبر شعرها غامضاً خالياً من المعاني. ومع ذلك فإن ييتس خصص لها ١٨ صفحة في مؤلفاته، " كتاب أوكسفورد للشعر الحديث" ، وعندما طبعت مجموعتها الشعرية عام ١٩٥٧، قال الناقد سيريل كونال، أن عملها سيتفوق في المستقبل على أعمال إليوت وأودن.

لقد توفيت إديث سيتويل عام ١٩٦٤، معتلّة الذاكرة بسبب إدمانها الكحول. وكما يقول المؤلف غرين، مصابة بجنون العظمة والشك، فقد تجاهل عدد من النقاد بسبب انتمائها إلى الطبقة العليا من المجتمع، وأيضاً بسبب كونها امرأة، وخاصة بعد بروز جيل جديد من الشعراء في انكلترا ومنهم فيليب لاركن وكينفسلي اميز.

ومع ذلك كانت سيتويل بالنسبة لجمهور كبير من القراء، شاعرة تمتلك شفافية إليوت مع افتقادها وضوحه وقوته.

وتبقى إديث سيتويل شاعرة مهمة، طليعية ورائدة للحداثة، وفي كتابه قدم غرين، وللكرة الأولى، مجموعة من الرسائل التي تبادلتها مع الرسام بافل تشيليجو، والتي كانت تربطها به علاقة حب بريئة.

وكتاب "غرين" ، ينقصه الاهتمام بشرح مكانة الشاعرة ودورها الكبير في الشعر الحديث.

■عن / الغارديان

رجـــلٌ بـإكـلـيـل غـــارٍ مـــن ورود الأُقـــحـــوانِ

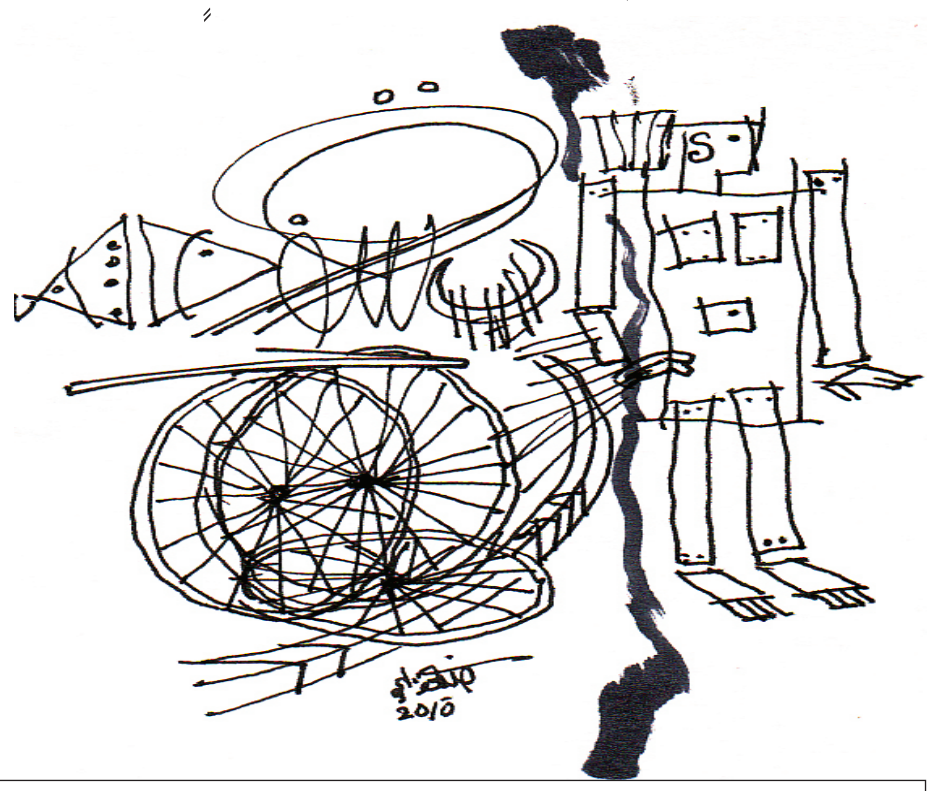

قصيدة: دلشاد عبد الله
ترجمة: ماماكاك

الى الذين يغيبون عنّا في مساء ما .. كاردو كَلالي
هي السمكة، منزعجةٌ من محدوديةِ المياهِ
أم إنّه الخَرز معلّقٌ بَرَقَبةٍ رفيعةٍلجبلٍ
لو اغتالوه بالرّصاص
لكانت جراحاتُهُ امتلأت بالشُّعاعِ
لو لفوّا الحبلَ حَولَ رَقَبَتهِ
لنَبَتَ القوسُ قُزَح في ذلكَ المكانِ
ضَيّعوهُ في عيونِ الليل
ضيّعوهُ من حضنِ أُمِّه التي تَتَحَرَّقُ
لمْ يَكُنْ خاتَماً يُمكنُ نَزَعُهُ من الأصبعِ
وقذفُهُ في بركة ماء
كما لم يكن قطعَةَ خَشبٍ تَجرفُهُ المِياهُ
أو أن يَضيعَ بينَ الأَحْرَاشِ
مع كلِ هذه السنواتِ التي بعهدتهِ
و بكلِ أحبابه، و بكلِ أصحابهِ
كيف ضاعَ في غمضةِ عينٍ؟
هل اغتالوه...؟ أمْ لَمْ يغتالوه..؟
لقد أزيلَ الأثرُ
حوّلوهُ الى فقاعة في حَوضِ حامضِ النتريكِ
لم يترك قطرةً منَ دمِّه فوقَ صخرةٍ
كما أنه لم يكنِ ثَوْباً كَيْ يَتَعَلَّقَ بغُصْنِ شَجَرَةٍ
لم تأتِ رسالةٌ سريَّةٌ تحمل منهُ خَبراً
ولا صورةً حزينة
حتى الطيورُ لو عرفتْ منهُ خَبراً لأوصلوهُ
لو عَرفتِ الزهورُ موضعَ ضريحه، لتوجَّهت اليهِ
والفراشَاتُ كنَّ زَيّنْ أجنحتهنّ بغَبارهِ وترابه
كان لا بدّ لغريب أن يفقدَ طريقهُ فيذهبَ الى زَيارة مَرقدهِ
لكن الآن يجب على الأطفال في المدارس
أن يرسموا منظر اغتيالهِ، كلّ واحد منهم يرسم جُزءاً من مُحياه
كلُّ واحَد منهم يرسمُ آهةً مُصْفَرّةً على محيّاهِ
الى أن يتم اكتشافُ شيء من سرِّ موتهِ
يمكن أن نفرَحَ به وهو ميِّتٌ

لو ألقوهُ في اليَمِّ لتغيّرِ لونُ البَحرِ
لو ألقوهُ في غيابةِ جُبٍّ، لتحولَ طَعمُ مائه مُرّاً
لو تواجدَ في أيةِ بقعة من الأرضِ لَوَصَلَ عِطرُهُ الى هنا
إنّه ظُلْمٌ نتنُ فوقَ جبينِ الأيام
كلما تقادمَ عليه الزّمنُ، ولّدَ الضّميرُ ديداناً
مزاهرُ هي آثارُهمُ
تبقى بعدهمُ.

٢٠١٠

الحب الأصعب.. للروائية (ادنا اوبريان):
روايـــة ايـــرلـــنـديـــة ..مـــئـــة بـالمـــئـــة!

ترجمة: عدوية الهلالي

في سن الثمانين ، مازالت هذه المرأة الايرلندية تمتلك (قوة المقاومة اللازمة للكتابة) التي تحدث عنها اللورد بايرون في واحدة من رسائله لماري شيلي ..

ادنا اوبريان ، هي روائية ايرلندية اختارت ان تنفي نفسها الى لندن وتعيش فيها منذ خمسين عاما بعد ان أحرقت الجماهير كتبها في سنوات الستينات وتم منع اقتنائها في المنازل تحت ذريعة انها تفتح أعين الفتيات الشابات على الشهوة والشبقية ..ولكي تحافظ على قوتها وبقائها على قيد الحياة ، ابتعدت أوبريان مختارة عن بلدها دون ان تتخلى عن عادة العودة إليه بين الحين والآخر لتستنشق هواءه وتلمس ارضه وتختار مواضيع رواياتها منه ....

في روايتها الجديدة (انحطاط ايرلندي) تقودنا الروائية اوبريان الى موطنها الأصلي أيضاً في كتاب يعلن انها ايرلندية مئة بالمئة ففي كتابها نجد الرعاع والمدمنون على الخمر والصعاليك ..لكنها تناقش هذه المرة العلاقة بين الأباء والابناء ..

ترى اوبريان ان الحب بين الام والابن هو الحب الحقيقي الوحيد ومهما كان صعبا فانها قادرة على جعله منعشا وطازجا ..وتبدأ أولاً بالصغيرة الشجاعة ديلي التي تغادر الى امريكا مصحوبة بنصائح والدتها التي تحملها معها كزاد المسافر ..ديلي تترك والديها والفقر والاضطرابات السياسية لاجل حياة جديدة تحلم بعيشها في الجانب الآخر من المحيط الاطلنطي ، وبدلا من ان تحيا الواقع الذي تحلم به ، ستعيش المصير الذي ينتظر الكثير من المهاجرين والفتيات الشابات مثلها فتصبح خادمة لدى احد اغنياء نيويورك ..

خلال السنوات التي تلي رحيلها ، تستقبل (ديلي) اخبار عائلتها وبلدها عبر رسائل والدتها (بريدجيت) المليئة بالألم والمعاناة والكآبة ...انها تجهل بأن الناس في امريكا يعانون ايضا وينزفون ويبكون ، فالامهات لايعرفن شيئا الا عاطفتهن –كما تقول الروائية اوبريان –..

بعد سنوات ، تصبح ديلي أماً بدورها ونراها مريضة ومسنة وتكتب بدورها رسائل رائعة لابنتها (اليانورا) التي تعيش منفية في لندن حيث تصبح كاتبة شهيرة –وفي هذا تشابه كبير بين شخصية الرواية والكاتبة ذاتها –..

في هذه الرسائل التي انما تصف العلاقة بين الكاتبة اوبريان ووالدتها من خلال رسائلها لها سنجد مزجا رائعا بين الحب والعقوق وبين الوعي والجهل والزهو وسوء الفهم ..سنجد كلمات لطيفة وعذبة احيانا واخرى قاسية وجافة في احيان اخرى ..

وتشكل مهنة الكاتبة (اليانورا) في الرواية حاجزاً يقف باستمرار بين ألام والابنة ويفرق بينهما ..اذ تتساءل ألام في احدى رسائلها ان كانت الابنة ستطلب دفنها في وطنها ..بهذه الطريقة ، ترسم اوبريان التعلق بالوطن بصدق كبير وتبدو وكأنها تلهث بعيداً عن بلدها وتجري دائما دون ان تعلم الى أين تبغي الوصول ..

صدرت رواية (انحطاط ايرلندي) في فرنسا مؤخراً عن دار سابين ويسبييه للنشر وترجمها الى الفرنسية بيير ايمانويل في ٤٤٤ صفحة ..

قــــنــــاديــــل

الفصحى والعامية تكامل نسقين متجاورين

■ لطفية الدليمي

«مثل صندوق العرس.. ينباع خُردة عِشِق مِن تمضي السنين»
(مظفر النواب)

تختلف التصورات عن اللهجات العامية، من زمن لآخر ومن بلد لبلد، بعضها ترى العامية فصيحة آلت إلى انحطاط بانحرافها عن سياقها الرفيع، وتطالب بإلغاء العامية لتحل الفصحى محلّها، وذلك بحظر دراسة اللهجات وإهمالها، إذ يُظن أنها تضعف اللغة الفصحى وتزاحمها وتسعى للحلول محلها، إلا أن الدارسين والمعنيين باللهجات، في جهات مختلفة من عالمنا، يقولون إن العامية والفصحى ليستا متضادتين او متناقضتين، بل هما في تكامل وتفاعل دائمين، وتتنافذ كل واحدة مع الأخرى في تبادل نفعي يجدد مفرداتهما بين حين وحين، وتكشف دراسات علماء اللسانيات الحديثة أن اللغة العربية، كشبيهتها اليونانية، والألمانية، والسويسرية، تعيش وضعا مزدوجا بين نسقين لغويين ولكل نسق وظائف ثقافية واجتماعية واضحة التباين، لكن التنافذ والتداخل بين الأنساق يسهل عملية التفاعل والتكامل، فينتقل كثير من الألفاظ العامية المؤثرة إلى الفصحى، وتندمج معها، فلا يمكننا تصور قصائد أو أغنيات بعينها بلغة فصيحة لأنها مبنية بنسق خاص لا تلائمه سوى العامية ببلاغتها الميسرة.

أستمع أحيانا لبعض الأغاني التراثية، وأقرأ قصائد مظفر النواب الشعبية التي تحولت الى أيقونات وجدانية لدى جيلنا والجيل اللاحق، فأنتشي طربا لبلاغة التعبير وشعرية الصورة وغناها الحسي والوجداني، وأبعادها الرمزية المتواشجة مع ذاكراتنا الجمعية، وأتذكر ما قاله مظفر النواب (إنه في الفصحى ينحت في الصخر، وفي العامية يشتغل على الطين). وكم هو الفارق بين المادتين!! ويا لروعة الطين الناعم الطري، يا لبدائيته وعراقته وتواصله الحميم مع الجسد البشري المجبول من تراب وماء، ومع الروح المنسوجة من أهواء ورؤى، تشبيه رائع ودقيق لنضارة الشعر العامي وسخونته، كجبلة الطين الحارة التي تتشكل منها الصور، وهو اعتراف جريء من صانع بارع للشعر العامي، في الوقت الذي تقف قصائده الفصيحة في منطقة حرجة وقلقة وضعيفة وسط التجارب الشعرية الشامخة لشعرائنا الكبار ، لعل مرد ذلك لانحياز مضامين النواب الى المباشرة الهتافية التي تحيلها الى بيان سياسي بقالب منظوم، بينما تسمو قصائده العامية الساحرة إلى ذرى المنجز الشعري الشعبي، بقدرتها على استيعاب الحالات الإنسانية التي يتصدى لها شاعر مرهف ومبتكر صور فاتنة مثل النواب.

يرى مظفر النواب (أن العامية مطواعة وتحتمل حرية أوسع في الاشتقاق)، وقد يفسر هذا جانباً من تحقق شعريته الحقيقية في أعماله العامية، وليس أجمل من قصيدته (الريل وحمد) التي غدت أنشودة يتداولها المولعون بالشعر الشعبي عراقيا وعربيا، وتتجلى براعة النواب في تعاطيه مع العامية في قصيدة له بعنوان (مو حزن.. لكن حزين) قصيدة عن لوعة التخلي والوحشة الوجودية في عالم جاحد، لا يمكن إلا لبلاغة العامية المطواعة التي يمتلك أسرارها– أن تمنحنا هذا الإحساس الصادم بالخذلان والجرح المكابر وخيبة الأمل..

(مو حزن لكن حزين/ مثل صندوق العرس/ ينباع خردةْ عِشقْ من تمضي السنينْ/مو حزن لكن حزينْ/ مثل بلبلَ كعَد متأخر لِكا البستان كلها بلايا تين..)

الى أن يقول: (ما بكيتك/ فارَقت أنت السفينة/وأنا جايبلك بحر..! /جبتلك طوفانَ الحلم/حلم منذور بغياب الشمس/فارقت حلم الناس ومَلّيت السفينة والسفر؟ /ما بكيتك انا بكتني السفينة! / منين ما طَشّ الرذاذ .. تريد تبحر! / تِدري نوبات السفن لو ضاق خاطرها بجبن قبطانها تَسافر وحدها! /أنا ما بكيتك، أنا بكتني السفينة!)

ليس غير مظفر من يبتكر شحنات الشجن، ويعبر عن تشظي الروح، بثراء عاميته وصوره المبتكرة، فهذا التشبيه البليغ للتخلي (مثل صندوق العرس ينباع خردة عِشق من تمضي السنين)، يوجز تاريخا من العشق والحيف الموجع ببلاغته الساحرة، ويؤكد ما قاله الناقد المصري الراحل لويس عوض عن بيت من الشعر العامي المصري (ورمش عين الجميل يطرح على فدان) ووصفه بأنه يساوي الف ديوان من الشعر الفصيح متوسط القيمة، لست من دعاة العامية في الأدب، بل أنا الأشد شغفا بجماليات اللغة الفصحى، واشتغالا في مديات سحرها، وبيانها، غير أني أحتفي بالطاقة التعبيرية الهائلة الكامنة في المفردة العامية، وأحيي طواعيتها لنمط محدد من الوظائف كالشعر الشعبي والأغاني والتواصل اليومي وتصريف أمور الحياة..